اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالْحَادِي وَالثَّلاَثُونَ

تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ. لِدَاوُدَ

1 يَا رَبُّ، لَمْ يَرْتَفِعْ قَلْبِي، وَلَمْ تَسْتَعْلِ عَيْنَايَ، وَلَمْ أَسْلُكْ فِي الْعَظَائِمِ وَلاَ فِي عَجَائِبَ فَوْقِي، 2بَــلْ هَــدَّأْتُ وَسَكَّتُّ نَفْسِي كَفَطِيمٍ نَحْوَ أُمِّهِ. نَفْسِي نَحْوِي كَفَطِيمٍ. 3لِيَرْجُ إِسْرَائِيلُ الرَّبَّ مِنَ الآنَ وَإِلَى الدَّهْرِ.

النفس المتواضعة

هذا المزمور تعبير رائع عن الخضوع لله والتسليم الكامل لمشيئته، وهو يشجع المؤمنين ليمتلئوا بالرجاء الحي في إلههم الصــالح.. وقد تعلَّم داود صاحب هذا المزمور التواضع أمام الله، ووضع كل طموحاته الأرضية في مكانها الصحيح، وأعطى الأولوية الأولى لعمل مشيئة الله.

وعندما كان الحُجّاج يحتفلون بالعيد في حضرة الله وفي بيته، كانوا يرنمون مزمور التوبة (130) ثم بكل تواضــع يرنمــون هــذا المزمور وهم يذكرون إحسانات الله عليهم، فيشعرون بمزيد من التواضع، كما قال جدُّهم الأكبر أب الأسباط لله: «صغيرٌ أنا عن جميــع ألطافك وجميع الأمانة التي صنعت إلى عبدك، فإني بعصاي عبرتُ هذا الأردن، والآن قد صرت جيشين» (تك 32: 10).

مزمور داود هذا ترنيمة تصف تواضعه الحقيقي والصادق، فمنذ أن مسحه النبي صموئيل ملكاً حلَّ روح الرب عليه، ومع هــذا لــم يُصبْه مرض الكبرياء. وعندما سأل عن مكافأة الرجل الذي يهزم جليات الجبار غضب أخوه الأكبر أليآب عليه وقال له: «أنــا علمــت كبرياءك وشر قلبك، لأنك إنما نزلتَ لترى الحرب». ولكنه لم يجاوب أخاه بمثل قساوة كلام أخيه، بل اكتفى بأن قال: «ماذا عملتُ الآن؟ أما هو كلام؟» (1صم 17: 28، 29).. وبعد أن صار داود ملكاً لم يتخلَّ عن تواضعه. فعندما أصعد تابوت الله إلى مدينــة داود بفــرح كان يرقص بكل قوته أمام الرب، فرأته زوجته ميكال بنت الملك السابق شاول من الكوَّة وهو يطفُر ويرقص أمام الرب، فاحتقرتــه فــي قلبها، وعندما التقت به وبَّخته، فأجابها إنه تواضع: «أمام الرب الذي اختارني دون أبيك ودون كل بيته ليقيمني رئيساً على شعب الرب، فلعبتُ أمام الرب. وإني أتصاغر دون ذلك وأكون وضيعاً في عيني نفسي، وأما عند الإماء التي ذكرتِ فأتمجَّد» (2صم 6: 12-22).

لقد تعلم داود التواضع في مدرسة الألم، فوضع كل أمله في الرب وهو مطارَد أمام شاول، ووقف الرب إلى جواره ونجاه، فعــرف أنه مديون للرب بحياته وبكل ما له.

قال تشارلس سبرجن عن هذا المزمور إنه من أقصر المزامير في قراءته، ولكنه من أطولها في تعلُّم دروسه وتطبيقها.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – التعبير عن التواضع (آية 1)

ثانياً – التواضع يعلِّم الخضوع (آية 2)

ثالثاً – التواضع يعلِّم الرجاء (آية 3)

أولاً – التعبير عن التواضع (آية 1)

1 – لم يتكبَّر: «يا رب، لم يرتفع قلبي» يحدِّث داود الرب بكل تواضع ويقول له: «يا رب» لأنه خالقه وسيده وقائده، والملك عليه. لم تدخل الكبرياء إلى قلبه بعد أن صار ملكاً، ومنه تعلَّم ابنه سليمان، فقال: «فوق كل تحفُّظ احفظ قلبك، لأن منه مخارج الحياة.. مكرَهة الرب كل متشامخ القلب» (أم 4: 23 و16: 5). لم يتحدث داود عن تواضعه، ولم يبالغ في تقدير نفسه، ولم يفتخر بتواضعه، ولم يمــدح مزاميره، ولم يتعالَ بتقواه. لم يفتخر بماضيه لأنه عطية الله، ولا بحاضره لأن الرب وحده هو عارفه وضامنه، فشهد له الرب: «وجدت داود بن يسى رجلاً حسب قلبي» (أع 13: 22).

كل مفاخر بنفسه يشبه الفريسي الذي حكى لنا عنه المسيح أنه وقف يصلي في نفسه: «اللهم أشكرك أني لست مثــل بــاقي النــاس الخاطفين الظالمين الزناة، ولا مثل هذا العشار».. ولكن داود كان مثل العشار الذي ذهب إلى الهيكل ووقف من بعيد لا يشــاء أن يرفــع عينيه نحو السماء، بل قرع على صدره قائلاً: «اللهم ارحمني أنا الخاطي». وقال المسيح إن الخاطئ نزل إلى بيته مبرراً دون المتكبِّــر، وقال: «لأن كل من يرفع نفسه يتَّضع، ومن يضع نفسه يرتفع» (لو 18: 9-14).

لقد مَلَكَ داود نفسه وتواضع، فرفعه الله، لأن «مالك روحه خيرٌ ممَّن يأخذ مدينة» (أم 16: 32) ولكن حفيده، الملك حزقيا تعلَّم درس التواضع بثمن كبير، إذ يقول الوحي عنه إن: «قلبه ارتفع، فكان غضبٌ عليه وعلى يهوذا وأورشليم. ثم تواضع حزقيا بسبب ارتفاع قلبه هو وسكان أورشليم فلم يأتِ عليهم غضب الرب في أيام حزقيا» (2أخ 32: 25، 26). «لأنه هكذا قال العلي المرتفع، ساكن الأبد، القدوس اسمه: في الموضع المرتفع المقدس أسكن، ومع المنسحق والمتواضع الروح، لأحيي روح المتواضعين، ولأحيي قلب المنسحقين» (إش 57: 15). فلنشكر العلي المرتفع ساكن الأبد الذي يتنازل ويسكن مع المنسحق والمتواضع.

2 – لم يشتهِ: «لم تستعلِ عيناي». ما يتمناه القلب تتطلع إليه العين، وكبرياء القلب تظهر في نظرات العينين، وقد قال المسيح: «سراج الجسد هو العين. فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيِّراً. وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً» (مت 6: 22، 23). وما أعظم نصيحة الله لباروخ (سكرتير النبي إرميا): «وأنت، فهل تطلب لنفسك أموراً عظيمة؟ لا تطلب!» (إر 45: 5).. إن كل ما نراه في العالم هو شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة، ليس من الآب، بل من العالم، والعالم يمضي وشهوته، وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد (1يو 2: 16، 17). كانت رغبات قلب داود تحت سيطرة الله، فاستطاع أن يتحكم في عينيه، وقال للرب: «أنت تخلِّص الشعب البائس، والأعين المرتفعة تضعها» (مز 18: 27)، لأن الرب يقول: «مستكبر العين ومنتفخ القلب لا أحتمله» (مز 101: 5).

قال المسيح: «من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً، ومن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً. كما أن ابن الإنسان لم يأت ليُخْدَم بل ليَخْدُم وليبذل نفسه فديةً عن كثيرين» (مت 20: 26–28)، وحين لاحظ كيف اختار المدعوون للوليمة المتكآت الأولى، قال لهم: «متى دُعيت من أحدٍ إلى عرس فلا تتكئ في المتكأ الأول. لعل أكرم منك يكون قد دُعي منه، فيأتي الذي دعاك وإياه ويقول لك: أعطِ مكاناً لهذا، فحينئذ تبتدئ بخجلٍ تأخذ الموضع الأخير. بل متى دُعيت فاذهب واتكئ في الموضع الأخير، حتى إذا جاء الذي دعاك يقول لك: يا صديق، ارتفع إلى فوق. حينئذ يكون لك مجد أمام المتكئين معك. لأن كل من يرفع نفسه يتضع، ومن يضع نفسه يرتفع» (لو 14: 7–11).

3- لم يطمع: «لم أسلك في العظائم ولا في عجائب فوقي». لم يتطلع داود إلى ما هو أكثر مما أعطاه له الرب، ولم يتعجَّل تحقيق الوعد الإلهي له بأن يملك على بني إسرائيل. حين كان الملك شاول يطارده ليقتله كان متأكداً من أن دور الملك شاول قد انتهى، وأن دوره آتٍ. ووقع شاول في يد داود مرتان، كان يمكن فيهما أن يقتله ويتولى المُلك الذي وعده الله به. وقال له أتباعه: «هوذا اليوم الذي قال لك عنه الرب: هأنذا أدفع عدوَّك ليدك فتفعل به ما يحسن في عينيك» ولكنه قال: «حاشا لي من قِبَل الرب أن أعمل هذا الأمر بسيدي بمسيح الرب، فأمُدُّ يدي إليه، لأنه مسيح الرب هو» (1صم 24: 6، 7 و26: 11) ، لقد أدرك داود بقلبه الخاضع لمشيئة الله معنى الحكمة القائلة: «تواضعوا تحت يد الله القوية لكي يرفعكم في حينه» (1بط 5: 6).

لم يسْعَ داود يوماً ليحصل على مركز لا يخصُّه، كما فعل سابقه الملك شاول الذي قام بدور الكاهن وقدم الذبيحة، فقال له النبي صموئيل: «لأنك رفضت كلام الرب، رفضك الرب من أن تكون ملكاً على إسرائيل» (1صم 15: 26). وما أكثر ما لا نكتفي بما أعطانا الله ونرفع أعيننا إلى ما لم يعطِه لنا. حسناً نأخذ من الرب عظائم يعطيها لنا إنعاماً منه. ولكن إن لم يعطها لنا فلنعلم أنها تناسب غيرنا، و«لا يرتئي (أحدنا) فوق ما ينبغي أن يرتئي، بل يرتئي إلى التعقُّل، كما قسم الله لكل واحدٍ مقداراً من الإيمان» (رو 12: 3). ويقول الرسول بطرس: «يقاوم الله المستكبرين، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة» (أم 3: 34 ويع 4: 6 و1بط 5: 5).

ثانياً – التواضع يعلِّم الخضوع
(آية 2)

لم يرتفع قلب داود، ولم تستعلِ عيناه، فتعلَّم الخضوع:

1 – خضوع التعلُّم: «بل هدَّأت وسكَّتُّ نفسي كفطيمٍ نحو أمه». نجح داود في أن يصل إلى حالة الهدوء والسكون الروحيين بعد أن انتقل روحياً من حالة الرضاعة إلى حالة الفطام. والرضيع يصرخ للطعام، أما الفطيم فهادئ ومكتفٍ، لأنه لم يعُد محتاجاً لطعام الطفل، بل بدأ يأكل طعام البالغين.. والفطام هو أول إحساس الطفل بالحرمان مما يعتبره حقه الطبيعي الذي اعتاد عليه منذ وُلد. وعندما يُفطَم يصرخ، ليس بالضرورة لأنه جائع، بل لأنه يحتجّ على أمه ويرفض موقفها منه. والأم تعرف أنها يجب أن تفطمه لخيره، وهي لن

تتركه جائعاً بل ستعطيه الطعام الذي يناسب عمره. وبعد صراخ واحتجاج يعود ليخضع منكسراً، ويهدئ نفسه فيفرح ويشكر لأنه صار أكثر نضوجاً.

رأى داود نفسه أول الأمر كفطيم هائج ثائر، وشعر برغباته العاطفية صاخبة متمردة، وعرف أن هذه الثورة ليست في مصلحته، فقرر أن يهدِّئ نفسه ويسكِّنها. ونجح في إخضاع مشاعره كطفلٍ يعتزُّ بأمه بدون رضاعة، فهي والدته قبل كل شيء، حتى لو حرمته مما يعتبره من حقوقه التي اعتادها.

وتجوز نفس كل مؤمن ذات الاختبار، فتتعلم التواضع والتسليم لله لأنه الخالق والمعتني والفادي، حتى لو بدا للمؤمن أن الله يحرمه من أشياء يشتهيها، لأنه يعلم أن الله لا يحرمه من شيء إلا ليُنضِج إيمانه ويزيد اتكاله عليه. وكلما تدرب المؤمن على قبول الحرمان الذي يريده الله، يتعلم الخضوع، لأنه يستريح بالمعطي وبمحبته أكثر من راحته بالعطية، ويصبح الرب نفسه موضوع التعزية والفرح، لا الأشياء التي يعطيها الرب. وقتها يقدر أن يقول مع حبقوق: «فمع أنه لا يُزهر التين، ولا يكون حملٌ في الكروم. يكذب عمل الزيتونة والحقول لا تصنع طعاماً. ينقطع الغنم من الحظيرة، ولا بقر في المذاود، فإني أبتهج بالرب وأفرح بإله خلاصي» (حب 3: 17، 18). حقاً «جيدٌ أن ينتظر الإنسان ويتوقَّع بسكوت خلاص الرب» (مرا 3: 26).

2 – خضوع التعقُّل: «نفسي نحوي كفطيم». بعد أن نجح المرنم في تهدئة نفسه وسكَّتها صارت نفسه نحوه كفطيم خاضع، لأنه حكَّم عقله في الموقف، فخضعت عواطفه لعقله بعدما خسر ما كان يحبه، وتبعت إرادتُه المبادئَ السليمة، كما قال الرسول بولس: «كل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء.. أقمع جسدي وأستعبده» (1كو 9: 25، 27). طوبى لمن يتألم فتساعده آلامه على إخضاع عواطفه وفطامها، فينضج ويتعلم الاتزان الروحي، ويدرك أنه يحب الله وهو مستريح، كما يحبه وقت الألم والتجارب، فيتعلم من أيوب الذي شكر الله في نجاحه كما شكره في بلواه، وقال: «عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود إلى هناك. الرب أعطى والرب أخذ، فليكن اسم الرب مباركاً.. أالخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل؟» (أي 1: 21 و2: 10). ويقدر أن يقول مع الرسول بولس: «تعلَّمتُ أن أكون مكتفياً بما أنا فيه. أعرف أن أتَّضع وأعرف أيضاً أن أستفضل. في كل شيء وفي جميع الأشياء قد تدرَّبتُ أن أشبع وأن أجوع، وأن أستفضل وأن أنقص. أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني» (في 4: 11–13).

ثالثاً – التواضع يعلِّم الرجاء
(آية 3)

1 – رجاءٌ في الرب: «ليَرْجُ إسرائيل الرب». بعد أن تواضع المرنم وسكَّن نفسه أمام الرب، صار له الربُّ نفسُه موضوعَ رجاء وتعزية، كما سبق وقال: «لماذا أنت منحنية يا نفسي، ولماذا تئنّين فيَّ؟ ارتجي الله لأني بعد أحمده لأجل خلاص وجهه» (مز 42: 5). وإسرائيل الذي يرجو الرب هو شعبه الذي يحبه في كل مكان، والذي يطيعه، مهما كانت خلفيته أو لغته أو بلده، كما يقول الوحي:«ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد.. ليس أولاد الجسد هم أولاد الله، بل أولاد الموعد يُحسَبون نسلاً» (رو 9: 6–8).. وهذا يعني أن هناك «إسرائيل» المولود من نسل إبراهيم، لكنه لا يؤمن إيمان إبراهيم، فهو إسرائيل الجسدي. وهناك «إسرائيل الله» وهم كل الذين يؤمنون إيمان إبراهيم من كل قبيلة وشعب.. إسرائيل الجسدي لا ينال البركة لأنه رفض المسيح الذي «إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله. أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه» (يو 1: 11، 12). «إسرائيل الله» هم الخليقة الجديدة الذين قبلوا المسيح، ويحملون في أجسادهم علامة المسيح، وهم الذين صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات. ويقول الوحي: «لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة، بل الخليقة الجديدة. فكل الذين يسلكون بحسب هذا القانون عليهم سلام ورحمة، وعلى إسرائيل الله» (غل 6: 12–16). سلام على إسرائيل الروحي، وهم كل من يؤمنون إيمان خليل الله إبراهيم، ويتبعون الرب بعزم القلب.

كان مجيء المسيح المخلِّص هو رجاء بني إسرائيل الأعظم، وهم ينتظرون تحقيق النبوَّة: «ها العذراء تحبل وتلد ابناً، وتدعو اسمه عمانوئيل (بمعنى: الله معنا).. لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويُدعى اسمه عجيباً، مشيراً، إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام» (إش 7: 14 و9: 6).. وقد تحقَّق هذا الرجاء، وجاء المسيح مولوداً من عذراء.. واليوم عندنا رجاء بمجيء المسيح ثانيةً إلى أرضنا ليدين العالمين بالعدل. كان مجيئه الأول مجيئاً متواضعاً، أما مجيئه ثانيةً فسيكون مجيداً «ويبصرون ابن الإنسان آتياً على

سحاب السماء بقوة ومجد كثير، فيرسل ملائكته ببوقٍ عظيم الصوت، فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح، من أقصاء السماوات إلى أقصائها» (مت 24: 30، 31).

على أن رجاءنا لا ينحصر في الأمور الآتية، بل هو الآن، وإلى الأبد.. فنقول: «من لي في السماء؟ ومعك لا أريد شيئاً في الأرض.. صخرة قلبي ونصيبي الله إلى الدهر» (مز 73: 25، 26).

2 – رجاءٌ الآن: «مِن الآنَ». نحن لا نعيش فقط على رجاء الحياة الأبدية، لكننا نعيش الآن حياة الأمل في الله وفي محبته وقوته. وكل من يضع ثقته في الرب لا يعتمد على علمه مهما كان عالماً، ولا على مكانته مهما كان عظيماً، ولا على ثروته مهما كان غنياً، ولا على أسرته مهما كانت مرموقة، فهذه كلها تتغير ولا تدوم. «إنما لله انتظري يا نفسي، لأن مِن قِبَله رجائي.. إنما باطلٌ بنو آدم. كذبٌ بنو البشر. في الموازين هم إلى فوق.. إن زاد الغِنى فلا تضعوا عليه قلباً» (مز 62: 5، 9، 10). قد تضيع منا أشياء أو أحباء لكن يبقى وجه الرب مع الذين يحبونه.

3 – رجاءٌ أبدي: «إلى الدهر». ويستمر هذا الرجاء بالرب معنا دوماً، فننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي، لأنه هو الكائن والذي كان، والذي يأتي. هو الألف والياء، الأول والآخِر، البداية والنهاية. ليرجُ المؤمنون الرب من الآنَ وإلى الدهر.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّانِي وَالثَّلاَثُونَ

تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ

1 اُذْكُرْ يَا رَبُّ دَاوُدَ، كُلَّ ذُلِّهِ. 2كَيْفَ حَلَفَ لِلرَّبِّ، نَذَرَ لِعَزِيزِ يَعْقُوبَ: 3«لاَ أَدْخُلُ خَيْمَةَ بَيْتِي، لاَ أَصْعَدُ عَلَى سَرِيرِ فِرَاشِي، 4لاَ أُعْطِي وَسَنَاً لِعَيْنَيَّ، وَلاَ نَوْماً لأَجْفَانِي، 5أَوْ أَجِدَ مَقَاماً لِلرَّبِّ، مَسْكَناً لِعَزِيزِ يَعْقُوبَ». 6هُوَذَا قَدْ سَمِعْنَا بِهِ فِي أَفْرَاتَةَ. وَجَدْنَاهُ فِي حُقُولِ الْوَعْرِ. 7لِنَدْخُلْ إِلَى مَسَاكِنِهِ. لِنَسْجُدْ عِنْدَ مَوْطِئِ قَدَمَيْهِ.

8قُمْ يَا رَبُّ إِلَى رَاحَتِكَ، أَنْتَ وَتَابُوتُ عِزِّكَ. 9كَهَنَتُكَ يَلْبَسُونَ الْبِرَّ، وَأَتْقِيَاؤُكَ يَهْتِفُونَ. 10مِنْ أَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِكَ لاَ تَرُدَّ وَجْهَ مَسِيحِكَ. 11أَقْسَمَ الرَّبُّ لِدَاوُدَ بِالْحَقِّ، لاَ يَرْجِعُ عَنْهُ: «مِنْ ثَمَرَةِ بَطْنِكَ أَجْعَلُ عَلَى كُرْسِيِّكَ. 12إِنْ حَفِظَ بَنُوكَ عَهْدِي وَشَهَادَاتِي الَّتِي أُعَلِّمُهُمْ إِيَّاهَا، فَبَنُوهُمْ أَيْضاً إِلَى الأَبَدِ يَجْلِسُونَ عَلَى كُرْسِيِّكَ». 13لأَنَّ الرَّبَّ قَدِ اخْتَارَ صِهْيَوْنَ. اشْتَهَاهَا مَسْكَناً لَهُ: 14«هَذِهِ هِيَ رَاحَتِي إِلَى الأَبَدِ. هَهُنَا أَسْكُنُ لأَنِّي اشْتَهَيْتُهَا. 15طَعَامَهَا أُبَارِكُ بَرَكَةً. مَسَاكِينَهَا أُشْبِعُ خُبْزاً. 16كَهَنَتَهَا أُلْبِسُ خَلاَصاً، وَأَتْقِيَاؤُهَا يَهْتِفُونَ هُتَافاً. 17هُنَاكَ أُنْبِتُ قَرْناً لِدَاوُدَ. رَتَّبْتُ سِرَاجاً لِمَسِيحِي. 18أَعْدَاءُهُ أُلْبِسُ خِزْياً، وَعَلَيْهِ يُزْهِرُ إِكْلِيلُهُ».

نذر داود وعهد الرب

يتحدث هذا المزمور عن رغبة الملك داود في بناء بيت للرب ليقيم فيه التابوت، الذي يرمز لحضور الرب وسط شعبه. وقد كان التابوت حتى أيامها يتنقَّل من مكان إلى آخر، ففي أثناء سنوات التيه في صحراء سيناء كانوا يحملونه أثناء الترحال، وعندما يعسكرون في مكان وينصبون خيمة الاجتماع، كانوا يضعونه داخلها وسط معسكرات أسباط إسرائيل الاثني عشر. وعندما عبر بنو إسرائيل نهر الأردن ليدخلوا أرض الموعد تقدمهم التابوت، وتركوه في الجلجال، ثم نقلوه منها إلى شيلوه حيث بقي فيها ما بين 300 و400 سنة. وذات مرة أخذوا التابوت ليتقدمهم في حرب وانهزموا، فأخذ أعداؤهم التابوت منهم ووضعوه في بيت إلههم داجون، وهو صنم نصفه الأعلى إنسان ونصفه الأسفل سمكة، فوقع الصنم وانكسر أمام تابوت الرب (1صم 5: 1–7). وعاقب الرب الأعداء بالأمراض، فأعادوا التابوت إلى بيت أبيناداب في قرية يعاريم، فبارك الرب بيت أبيناداب (2صم 6). وعندما علم الملك داود أن البركة حلت ببيت أبيناداب، أصعد تابوت الله إلى «مدينة داود» بفرح. ولم يكن داود مستريحاً لكونه ساكناً في قصر بينما تابوت الرب مقيمٌ في خيمة، فعزم أن يبني هيكلاً يقيم فيه تابوت عهد الرب. ولكن الرب أرسل إليه النبي ناثان ليقول له: «أأنت تبني لي بيتاً لسكناي؟.. أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبِّت مملكته. هو يبني بيتاً لاسمي، وأنا أثبت كرسيَّ مملكته إلى الأبد» (2صم 7: 5، 12، 13). ومع أن الله أعفى داود من بناء الهيكل، إلا أنه قرر أن يجهِّز كل ما يستطيعه من مواد لبنائه، فجمع أحجاراً وحديداً وخشباً وفضة وذهباً ليساعد ابنه سليمان في بناء البيت.

كُتب هذا المزمور غالباً بمناسبة انتقال التابوت من بيت أبيناداب في قرية يعاريم إلى مدينة داود، ليذكِّر الشعب برغبة داود ونذره، ومكافأة الرب له.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – صلاة الشعب من أجل داود (آيات 1–5)

ثانياً – تعاون الشعب مع داود (آيات 6–10)

ثالثاً – استجابة الرب لصلاة الشعب (آيات 11–18)

أولاً – صلاة الشعب من أجل داود
(آيات 1-5)

1 – يطلبون أن يذكر الرب ذلَّ داود: «اذكر يا رب داود، كل ذلِّه» (آية 1). وهل ينسى الرب أيَّ شيء، وهو الذي قال: «هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك» (إش 49: 15). إن أمام الرب «سفر تذكرة» نُقش فيها

ماضينا وحاضرنا، مع احتياجاتنا (ملا 3: 16). وكل مؤمن يشهد لأمانة الرب وصلاحه ومحبته نحو بني البشر. لقد ذكر نوحاً وأوقف الطوفان (تك 8: 1) وذكر إبراهيم وافتقد سارة وأعطاهما ابناً في شيخوختهما كما وعدهما (تك 21: 1)، وردَّ سبي أيوب وزاد على ما كان له ضعفاً (أي 42: 10)، وذكر بني إسرائيل وأخرجهم من مصر بيد ممدودة وذراع رفيعة (خر 3: 7)، وهو يذكر رحمته وأمانته (مز 98: 3)، ويذكر إلى الدهر عهده (مز 105: 8)، ويذكرك ويذكرني بلا انقطاع.

والمعنى الذي قصده الشعب بهذه الطلبة هو أن يذكر الله داود ليكافئه، فقد كان تاريخه مليئاً بالمتاعب، فبعدما هزم جليات الجبار حسده الملك شاول وحقد عليه وأخذ يطارده ليقتله، فذلَّ داود أمام المطاردة المستمرة.. ولا بد أن داود لاقى المتاعب والذل وهو يحارب ليستولي على حصن اليبوسيين الذي سماه «مدينة داود» (2صم 5: 6–9)، وجاء إليه بالتابوت، وهناك بنى ابنه الملك سليمان هيكل الرب.. ولا بد أن داود ذلَّ أمام الرب عندما حاول أن ينقل تابوت عهد الرب بطريقة مخالفة للطريقة التي طلبها الرب، فغضب الله على الشاب عُزَّة وقتله لأنه مدَّ يده بغير احترام إلى تابوت الله (2صم 6). وذُلَّ داود عندما أراد أن يبني بيتاً للرب، فرفض الرب، فقال داود: «هئنذا في مذلتي هيأت لبيت الرب ذهباً.. وفضة.. ونحاساً وحديداً بلا وزن لأنه كثير. وقد هيأت خشباً وحجارة» (1أخ 22: 14).

2 – يطلبون أن يذكر الرب نذر داود: «كيف حلف للرب، نذر لعزيز يعقوب: لا أدخل خيمة بيتي. لا أصعد على سرير فراشي. لا أعطي وَسَناً لعينيَّ ولا نوماً لأجفاني، أو أجد مقاماً للرب، مسكناً لعزيز يعقوب» (آيات 2–5). توضح هذه الآيات إصرار داود أن يوفي نذره في إقامة بيت للرب. لقد نذر لعزيز يعقوب، أي الإله الجبار القوي الذي أحسن إلى يعقوب، فلن يهدأ خاطره ولن تستقر نفسه وقلبه، ولن يستطيع أن يستريح أو ينام قبل أن يحقق بناء «مقام للرب» حسب قوله لموسى: «فيصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم» (خر 25: 8). ويحلف داود بعزيز يعقوب لأن جدَّه يعقوب سبقه ونذر أن يبني بيتاً لله في بيت إيل وقال: «إن كان الله معي وحفظني.. هذا الحجر الذي أقمتُه عموداً يكون بيت الله، وكل ما تعطيني فإني أعشِّره لك» (تك 28: 20، 22)، ثم «أتى يعقوب إلى بيت إيل.. وبنى مذبحاً ودعا المكان إيل بيت إيل» (تك 35: 6، 7).

ونحن اليوم نعلم أن المسكن الذي يسكن فيه الرب وسط شعبه مسكن روحي، لأنه «هكذا قال الرب: السموات كرسيي، والأرض موطئ قدميَّ. أين البيت الذي تبنون لي، وأين مكان راحتي؟ وكل هذه صنعَتْها يدي، فكانت كل هذه يقول الرب. وإلى هذا أنظر: إلى المسكين، والمنسحق الروح، والمرتعد من كلامي» (إش 66: 1، 2). وقد طوَّب المسيح المسكين بالروح الذي يأتي للرب بيدين خاليتين يطلب المعونة والرحمة، معترفاً بخطاياه، والمرتعد من كلام الرب طاعةً لنصيحة الرسول بولس: «تمِّموا خلاصكم بخوف ورعدة» (في 2: 12). هذا هو القلب الذي يسكن فيه الرب، وهو المقام الحقيقي له «جسدكم هو هيكل الروح القدس الذي فيكم، الذي لكم من الله» (1كو 19: 6).

ثانياً – تعاون الشعب مع داود
(آيات 6-10)

1 – حماسهم في نقل التابوت: «هوذا قد سمعنا عنه في أفراتة. وجدناه في حقول الوعر» (آية 6). كان نقل التابوت حدثاً قومياً لأن التابوت يرمز لحضور الرب وسط شعبه. وتوضح هذه الآية الغيرة الشديدة التي انتقلت من قلب داود إلى قلب كل شعب الرب، وملأتهم بالرغبة في نقل التابوت إلى مدينة داود. فقد سمعوا أن التابوت في أفراتة، ومعناها: «الوديان الخصيبة، أو حقول الغابات»، وهي المنطقة التي كانت فيها قرية يعاريم ومعناها: «الغابات»، فوجدوه في حقول الوعر في بيت أبيناداب. فذهبوا وأتوا به، لأن من يطلب يجد ومن يقرع يُفتح له.

2 – حماسهم في العبادة: «لندخل إلى مساكنه. لنسجد عند موطئ قدميه» (آية 7). يطلب المرنم من سامعيه أن يأتوا ويتعبَّدوا في «مسكن عزيز يعقوب». لقد تحمَّس بنو إسرائيل بقيادة الملك داود ونقلوا التابوت إلى مدينة داود، وسجدوا عند موطئ قدمي الله شكراً لأنه سمح لهم أن ينقلوا تابوت عهده. وتحدثوا عن «مساكنه» بمعنى الأماكن التي أقام فيها التابوت قبل وصوله إلى مدينة داود، لأنه أقام في الجلجال، ثم نُقل إلى بيت إيل، ومنها إلى شيلوه ثم قرية يعاريم، وأخيراً إلى أورشليم. وكل مكان استقر فيه التابوت اُعتُبر مسكناً له. وحيثما يسكن الرب يعلن عن حضوره، ويصبح المكان هيكلاً له. على أن المسيح هو الإعلان الإلهي الأسمى للبشر، فبعدما كلَّم الله الآباء بالأنبياء قديماً كلَّمنا في المسيح الذي «فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً» (كو 2: 9)، وفي المسيح نرى الله لأنه قال: «الذي رآني فقد

رأى الآب» (يو 14: 9). وكل من يقبل خلاص المسيح يدخل المسيح قلبه، كما يطالبنا الأمر الرسولي: «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم» (أف 3: 17) فيصبح هيكلاً للروح القدس (1كو 6: 19) يرشد الناس إلى طريق الخلاص الذي وصل هو إليه.

3 – فرحهم بالعبادة: فرح الشعب بثلاثة أمور، طلبها الملك سليمان في صلاته وهو يدشِّن الهيكل، فقال: «والآن قُم أيها الرب الإله إلى راحتك أنت وتابوت عزّك. كهنتك أيها الرب الإله يلبسون الخلاص، وأتقياؤك يبتهجون بالخير. أيها الرب الإله، لا تردَّ وجه مسيحك. اذكر مراحم داود عبدك» (2أخ 6: 41، 42).

(أ) **فرحوا بنقل التابوت**: «قُم يا رب إلى راحتك أنت وتابوت عزك» (آية 8). وهي الصلاة التي كان موسى والشعب يرفعونها لله في صحراء سيناء عندما كانوا يرتحلون من مكان إلى مكان يتقدمهم تابوت عهد الرب. «وعند ارتحال التابوت كان موسى يقول: قُم يا رب فلتتبدَّد أعداؤك، ويهرب مبغضوك من أمامك». وعند ما يتوقفون عن السفر كانوا يقولون: «ارجع يا رب إلى ربوات ألوف إسرائيل» (عد 10: 35، 36). وقال داود: «يقوم الله، يتبدَّد أعداؤه ويهرب مبغضوه من أمام وجهه» (مز 68: 1).

(ب) **فرحوا بالكهنة وبالأتقياء**: «كهنتك يلبسون البر، وأتقياؤك يهتفون» (آية 9). أعلن المرنم أن الله يُلبس كهنته براً بمعنى أنه يبرِّرهم ليكونوا مقبولين أمامه أهلاً لخدمة الإله البار. إنه يبررهم بأن يكسوهم بره كثوب يستر عريهم، كما ستر عري آدم في الجنة، فيهتفون: «فرحاً أفرح بالرب. تبتهج نفسي بإلهي لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص. كساني رداء البر» (إش 61: 10). ويفرح المؤمنون جميعاً طاعة للأمر النبوي: «افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة الحافظة الأمانة» (إش 26: 2)، ويقولون مع أيوب: «لبستُ البرَّ فكساني. كجُبَّة وعمامة كان عدلي» (أي 29: 14).

(ج) **فرحوا بالملك**: «من أجل داود عبدك لا تردَّ وجه مسيحك» (آية 10). وعد الرب داود وقال له: «يأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرسيُّك يكون ثابتاً إلى الأبد» (2صم 7: 16). ويطالب المرنم الرب أن يحقق مواعيده للملك داود، فلا يرفض له مطلباً يطلبه لخير شعبه «لأنك أنت تبارك الصديق يا رب. كأنه بترس تحيطه بالرضا» (مز 5: 12).

ثالثاً - استجابة الرب لصلاة الشعب
(آيات 11-18)

1 – الاستجابة بخصوص المسيا: «أقسَم الرب لداود بالحق، لا يرجع عنه: من ثمرة بطنك أجعل على كرسيِّك. إن حفظ بنوك عهدي وشهاداتي التي أعلِّمهم إياها، فبنوهم أيضاً إلى الأبد يجلسون على كرسيِّك» (آيتا 11، 12). وعد الرب داود أن يقيم من بنيه من يملكون على شعبه، وثبَّت وعده معه بقسَمٍ لا يرجع عنه، ولا يغيِّره، لأنه هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد. ويقول هذا الوعد: «أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبِّت مملكته.. أنا أثبِّت كرسيَّ مملكته إلى الأبد» (2صم 7: 12، 13).. فقال داود للرب: «لقد أعلنتَ لعبدك قائلاً: إني أبني لك بيتاً. لذلك وجد عبدك في قلبه أن يصلي لك هذه الصلاة. والآن يا سيدي الرب، أنت هو الله وكلامك هو حق. وقد كلَّمتَ عبدك بهذا الخير» (2صم 7: 27، 28). وقد أورد أيْثان الأزراحي هذا الوعد شِعراً بقوله: «قطعتُ عهداً مع مختاري. حلفتُ لداود عبدي.. مرةً حلفتُ بقُدسي أني لا أكذب لداود» (مز 89: 3، 35). ولم يكن كل نسل داود صالحاً، فانقسمت المملكة في أيام رحبعام (حفيد الملك داود) إلى مملكة شمالية عاصمتها السامرة، وتكوَّنت من عشرة أسباط، حكم عليها يربعام بن نباط، ومملكة جنوبية عاصمتها أورشليم، ملك عليها رحبعام. وسقطت المملكتان في السبي لأنهما لم تحفظا عهد الرب. وكان وعد الرب لداود مرتبطاً بتحقيق شرطه الواضح، وهو أن يحفظوا عهده. غير أن وعد الله تحقَّق كاملاً في المسيح ابن داود «الذي لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش» (إش 53: 9)، «وتكون الرياسة على كتفه.. لنمو رياسته.. وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته، ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد. غيرة رب الجنود تصنع هذا» (إش 9: 6، 7). وكان أيْثان الأزراحي قد قال عن ملكوت المسيح: «الذي تثبُت يدي معه. أيضاً ذراعي تشدِّده.. وباسمي ينتصب قرنه.. هو يدعوني: أبي أنت. إلهي وصخرة خلاصي. أنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض.. وكرسيه مثل أيام السموات» (مز 89: 21، 24، 26، 27، 29).

2 - الاستجابة بخصوص صهيون: «لأن الرب قد اختار صهيون. اشتهاها مسكناً له. هذه هي راحتي إلى الأبد. ههنا أسكن لأني اشتهيتها. طعامها أبارك بركة. مساكينها أُشبع خبزاً» (آيات 13–15). كان بنو إسرائيل يعتقدون أن الله اختار جبل صهيون لبناء الهيكل قبل أن يختار داود ليكون ملكاً على شعبه، فيقول آساف: «اختار سبط يهوذا، جبل صهيون الذي أحبه، وبنى مثل مرتفعات مقدسه، كالأرض التي أسَّسها إلى الأبد. واختار داود عبده، وأخذه من حظائر الغنم» (مز 78: 68–70). واعتقد بنو إسرائيل أن قول الرب:

«هذه هي راحتي إلى الأبد» وإن لم يكن مسجَّلاً بالقول، لكنه مُبرهنٌ بالفعل، فقد اختار الرب جبل المريا مكاناً لبناء الهيكل الذي يسكنه ويستريح له، ويقبل فيه صلوات شعبه وذبائحهم التي يتقرَّبون بها إليه، كما اختار المسيح رسله وقال لهم: «ليس أنتم اخترتموني، بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم» (يو 15: 16). فيا له من امتياز عظيم أن نصير مختاري الملك الذي دعانا من الظلمة إلى نوره العجيب، وجعل منا جنساً مختاراً وكهنوتاً ملوكياً، أمةً مقدسة، شعب اقتناء (1بط 2: 9).

ويقول الله عن صهيون: «طعامَها أبارك بركةً. مساكينَها أُشبع خبزاً». حقاً «طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات.. طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يُشبَعون» (مت 5: 3، 6). وقال المسيح: «أنا هو خبز الحياة. من يُقبل إليَّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش إلى الأبد» (يو 6: 35). ويقول الرسول بولس: «الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟» (رو 8: 32). هو «الله الحي الذي يمنحنا كل شيء بغنى للتمتع» (1تي 6: 17).

3 – الاستجابة بخصوص الكهنة: «كهنتها أُلبس خلاصاً. أتقياؤها يهتفون هتافاً» (آية 16). يستجيب الرب طلبة شعبه من أجل الكهنة فيلبسهم أعظم رداء، هو رداء البر وثياب الخلاص التي تستر كل عيب، وتكمل كل نقص وتؤهِّل الكاهن للقيام بخدمة مقبولة.

4 – الاستجابة بخصوص الملك: «هناك أُنبت قرناً لداود. رتَّبتُ سراجاً لمسيحي. أعداءه أُلبس خزياً، وعليه يُزهر إكليله» (آيتا 17، 18). في هاتين الآيتين يعد الرب أن يستجيب دعاء الشعب لأجل الملك بثلاث طرق:

(أ) **يعطيه قرناً**: القرن رمز القوة، فيعطي الرب داود قوة تنطح أعداءه وتنصره عليهم، كما قال أيْثان الأزراحي: «لأنك أنت فخر قوتهم، وبرضاك ينتصب قرننا، لأن الرب مجنُّنا» (مز 89: 17، 18).

(ب) **يعطيه سراجاً**: السراج رمز للنسل والامتداد، فيقول الوحي عن الملك أَبِيام: «لكن لأجل داود أعطاه الرب إلهُه سراجاً في أورشليم، إذ أقام ابنه بعده وثبَّت أورشليم» (1مل 15: 4). أما امتداد مملكة داود الأبدية فهي في المسيح ابن داود، السراج المضيء، الذي قال عن نفسه: «أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة» (يو 8: 12).

(ج) **يعطيه إكليلاً**: ويرمز الإكليل إلى تكريس الملك لخدمة الله بخدمة شعبه، وكان الإكليل يُعطى للملك، وللكاهن (خر 29: 6). والإكليل مزهر أي يلمع بالحياة والحق، فيراه المحيطون به. وقد أمر الرب النبي زكريا: «خُذ فضة وذهباً واعمل تيجاناً، وضَعْها على رأس يهوشع بن يهوصادِق الكاهن العظيم.. فهو يبني هيكل الرب، وهو يحمل الجلال، ويتسلط على كرسيه، ويكون كاهناً على كرسيه» (زك 6: 11–13).

لنصلِّ إلى الرب أن يجعلنا متواضعين مثل داود، وأن نكون أمناء لنذورنا وعهودنا لله كما أن الله أمين معنا.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّالِثُ وَالثَّلاَثُونَ

تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ. لِدَاوُدَ

1 هُوَذَا مَا أَحْسَنَ وَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَسْكُنَ الإِخْوَةُ مَعاً! 2مِثْلُ الدُّهْنِ الطَّيِّبِ عَلَى الرَّأْسِ، النَّازِلِ عَلَى اللِّحْيَةِ، لِحْيَةِ هَارُونَ، النَّازِلِ إِلَى طَرَفِ ثِيَابِهِ. 3مِثْلُ نَدَى حَرْمُونَ النَّازِلِ عَلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ. لأَنَّهُ هُنَاكَ أَمَرَ الرَّبُّ بِالْبَرَكَةِ، حَيَاةٍ إِلَى الأَبَدِ.

وحدانية الروح

هذا مزمور معطَّر كالطيب، رقيقٌ كالندى، ليس فيه طلب ولا شكوى، وهو خالٍ من الإحساس بمشاعر الذنب. إنما هو محطة راحة، لأنه يصف مؤتمراً دينياً عالي الروحانية، وخلوة عميقة بالرب، فرحت فيها القلوب بتحقيق وعده القائل: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت 18: 20)، فشعر الحاضرون أنهم كانوا على جبل تجلي، وقد تخفَّفوا من هموم العالم، وسعدوا معاً بتوحُّد القلب والفكر والإرادة في الصلاة والترنيم والعبادة، بفضل حضور الروح القدس بينهم وفيهم، فلمسهم وباركهم أفراداً وجماعة.

لقد صعد المؤمنون إلى الحج في الهيكل، وقاموا بكل مراسم الاحتفالات، وأوشكت رحلتهم للتعييد على الانتهاء، لتبدأ رحلة عودتهم إلى البلاد المختلفة التي جاءوا منها، ليواجهوا مرة أخرى مسؤوليات الحياة العادية وصعابها، ويتحملوا ما يكلِّفهم الرب به من خدمة يؤدونها له بعد أن ملأهم نعمة وبركة. لقد تحقق معهم وعد الرب لإبراهيم: «أباركك» وجاء الدور ليسمعوا: «وتكون بركة». فوقف العابدون يرنمون هذا المزمور تعبيراً عن مشاعر سعادتهم بالعبادة، وفرحتهم بتآلف قلوبهم واتحادها حول الإله الواحد الذي يمتلكهم ويسود عليهم. وهم يعلمون أنهم حين ينزلون إلى العالم يخرجون من محضر الله بالجسد ولكنهم يعيشون في حضرته بالروح. ولا بدَّ لهم أن يعيشوا إيمانهم وسط المجتمع الذي يتواجدون فيه، لأنه يحيا فيهم بروحه، فيضيئون كأنوار في العالم يقشعون ظلام إبليس، ويرى الناس أعمالهم الحسنة فيمجدون أباهم الذي في السموات.

في المزمور 132 رأينا توحُّد شعب الرب وحماسهم للعبادة حول تابوت الرب الذي هو رمز حضوره وسط شعبه، وهو توحُّد روحي حول الرب غير المنظور. وفي هذا المزمور أعلنوا محبتهم بعضهم لبعض. واليوم يتوحَّد المؤمنون في حب المسيح، فتتحد قلوبهم معاً، ويساعد أحدهم الآخر ويشجعه ويدافع عنه، بمقدار ما يمنحه الله من نعمة وقوة.

في الوحدة قوة وغلبة وانتصار وتشجيع. «اثنان خير من واحد لأن لهما أجرة لتعبهما صالحة، لأنه إن وقع أحدهما يقيمه رفيقه. وويل لمن هو وحده إن وقع، إذ ليس ثانٍ ليقيمه.. إن غلب أحدٌ على الواحد يقف مقابله الاثنان، والخيط المثلوث لا ينقطع سريعاً» (جا 4: 9-12).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – جمال الوحدة الروحية (آية 1)

ثانياً – وصف الوحدة الروحية (آيات 2، 3أ)

ثالثاً – بركات الوحدة الروحية (آية 3ب)

أولاً – جمال الوحدة الروحية
(آية 1)

«هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الإخوة معاً».

1 - »هوذا« أي تأملوا، وراقبوا، وانظروا أمراً نادر الحدوث في عالمنا! إنه الأخوَّة الحقيقية! الإنسان عادة ظلوم لا يرحم أخاه إن ضعُف أخوه أو سقط، أو إن أساء إليه. وإن أخطأ إنسانٌ يسرع بإلقاء اللوم على غيره واتهامه وتوبيخه وإصدار الأحكام الجائرة ضده، مع أننا جميعاً في الموازين إلى فوق، و«الكل زاغوا وفسدوا. ليس من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد» (مز 14: 3).

ولكن هؤلاء العابدين اتحدوا معاً في الوقوف في هيكل الله، فكانت وحدتهم وحدة المكان، واتحدوا معاً وحدة روحية هي وحدة القلوب، فكان المنظر فريداً وغريباً على عالمنا المتصارع المتحارب. وعندما رأى المرنم جمال الوحدة في العبادة راح يتغنَّى بما حدث، ودعا الجميع لينظروا هذا المشهد البديع الفريد، الذي سعى أصحابه لأن يحفظوا وحدانية الروح برباط السلام (أف 4: 3)، فصاروا كأهرامات مصر التي بقيت شامخة خمسة آلاف سنة شاهدة على عظمة الوحدة وقوتها. ولو أن أحجار الأهرامات تفرقت فلن تظل إحدى عجائب الدنيا السبع، بل ستكون مجرد أحجار ضخمة!

2 – »ما أحسن!«: ما أكثر الانسجام والتوافق والصلاح في وجود المؤمنين العابدين معاً! إنه كتوافق وانسجام الآلات الموسيقية المختلفة وهي تعزف لحناً واحداً يطيب له القلب وتفرح به الروح.

3 – »وما أجمل«: ما أكثر البهجة الناتجة عن وجود المؤمنين العابدين معاً، لأنها بهجة سماوية! يكون المبهج أحياناً من الشرير، كما أغوت الحية أبوينا الأوَّلين في جنة عدن «فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهِجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر» (تك 3: 6). لكن المرنم يكلمنا عن الأجمل الأبهج من الأمور المقدسة، التي هي من عند الله الذي يُفرِح العابدين ويفرح بهم، فهو يفرح بالراجعين إليه كما يفرح الراعي الذي يحمل خروفه الضال بعد أن وجده، ليردَّه إلى الحظيرة.. ويبتهج قلب العابدين بالرب، فيقولون: «فرحت بالقائلين لي إلى بيت الرب نذهب» (مز 122: 1). «يبتهج ويفرح بك جميع طالبيك. ليقل محبّو خلاصك: يتعظم الرب» (مز 85: 16).

4 – »أن يسكن«: ليس المقصود السكن أو الإقامة المادية الدائمة، بل السكن الروحي والعاطفي عندما ينفتح المؤمنون على بعضهم فتنشرح قلوبهم أحدهم بالآخر، ويلتحمون معاً في وحدانية الروح التي يحافظون عليها بالمحبة والاشتراك في الخدمة، كما قال الرسول بولس: «أنا غرست وأبلوس سقى لكن الله كان ينمي. إذاً ليس الغارس شيئاً ولا الساقي بل الله الذي ينمي. والغارس والساقي هما واحد، ولكن كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه. فإننا نحن عاملان مع الله وأنتم فلاحة الله. بناء الله» (1كو 3: 6–9). ويشعر المؤمنون بالحماية والترابط في الانتماء للجسد الواحد «لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد.. وجميعنا سُقينا روحاً واحداً» (1كو 12: 13).

5 – »الإخوة معاً«: كلنا إخوة لأننا خليقة الله، ولأننا وُلدنا من أب واحد هو آدم، كما قال الرسول بولس في موعظته في أثينا: «الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه.. وصنع من دمٍ واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض» (أع 17: 24، 26). وقد عبَّر خليل الله إبراهيم عن هذه الوحدة الجسدية عندما حدثت مخاصمة بين رعاة مواشيه ورعاة مواشي لوط، فقال لابن أخيه لوط: «لا تكن مخاصمة بيني وبينك وبين رعاتي ورعاتك، لأننا نحن أخَوان» (تك 13: 8). كان إبراهيم عم لوط، ولكنه دعاه أخاً له من باب الأخوَّة الجسدية التي هي رابطة الدم.

ولكن هناك رابطة أقوى هي الأخوَّة الروحية، أخوة الولادة الثانية من الروح القدس، التي يقول فيها الوحي: «جسد واحد، وروح واحد، كما دُعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد. رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة، إله وآب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفي كلكم» (أف 4: 4–6). فالمؤمنون إخوة، لهم رب واحد يسود على حياتهم، وهدف واحد يعيشون له، وتعزيات واحدة من الروح القدس تنعشهم وتلهمهم. فما أجمل أن يسكن الإخوة معاً!

ثانياً – وصف الوحدة الروحية
(آية 2، 3أ)

يصف المرنم وحدة المؤمنين المقدسة بوصفين:

1 – مثل الدهن الطيب: «مثل الدهن الطيب على الرأس، النازل على اللحية، لحية هارون، النازل إلى طرف ثيابه» (آية 2).

(أ) **دهن يقدِّس**: يشبِّه المرنم الوحدة الروحية بين المؤمنين بمسحة التقديس التي تغمر هارون كله. والدهن الطيب على رأس هارون هو دهن المسحة المقدسة الذي أعطى الرب وصفة تركيبه لموسى ليمسح به خيمة الاجتماع، وتابوت الشهادة، وليصبَّه على رأس هارون فينزل على لحيته وأطراف ثيابه، فيغمر جسد هارون كله، فيباركه ويقدسه ويخصصه رئيساً للكهنة لخدمة الرب وتعليم الناس (خر 30: 22–33).

(ب) **دهن يبارك**: تبارك الوحدة الروحية المتحدين معاً، كما كان الدهن الطيب يبارك هارون وكل الشعب الذي يقوده في العبادة، فقد كان ينزل على حجَري الجزع على صُدرة هارون التي نُقشت عليها أسماء الأسباط الاثني عشر، فيغمر الله كل شعبه مع هارون بالبركة (خر 28: 29). ويصف المرنم الدهن الطيب مرتين بأنه «النازل» لأن الرب هو العالي الذي يُنزل بركته، فهو مصدر البركة المؤكدة. وعندما نحاول أن نرتفع لنصل إلى منبع البركة نجد قامتنا الروحية قاصرة، فنقول إننا عبيد بطالون. لذلك ينعم الله علينا في المسيح بالدهن النازل من عنده، وبالندى النازل من لدنه، لأنه مصدر الخلاص النازل من فوق «وليس أحد صعد إلى السماء، إلا الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء» (يو 3: 13) لكي يقيم المسكين من التراب، ويرفع الفقير من المزبلة للجلوس مع الشرفاء (1صم 2: 8).

(ج) **دهن يفرِّح**: يرمز الدهن للفرح، كما قال المرنم: «أحببتَ البر وأبغضتَ الإثم. من أجل ذلك مسحك الله إلهُك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك» (مز 45: 7)، وهو «دهن فرح عوضاً عن النوح» (إش 61: 3). والوحدة الروحية مفرحة للقلب يقال عنها: «ما أحسن وما أجمل».

ويتمتع المؤمنون بفرح حقيقي ودائم، لأنه ثمر الروح القدس (غل 5: 22) «لأنه هكذا قال الرب: هأنذا أدير عليها سلاماً كنهر.. كإنسان تعزيه أمه هكذا أعزيكم.. فترون وتفرح قلوبكم وتزهو عظامكم كالعشب» (إش 66: 12-14). كان فرح المعيدين كفرح آبائهم بتكريس هارون رئيساً للكهنة ليقوم بخدمة بيت الرب، وليقف وسيطاً بين الله وشعبه لينالوا رضاه. أما نحن فيعظم فرحنا بالمسيح رئيس كهنتنا الذي قال: «أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل» (يو 10: 10)، ونفرح بتكريس أي خادمٍ لله لأننا نعلم أن الرب سيبارك شعبه من خلال خادمه.

وستفرح قلوبنا بالرب وسط عالم مليء بالضيق والشر والصراع على المادة، لأننا نحتمي بملجإنا الوحيد الذي يبدل أحزاننا فرحاً.

(د) **دهن فريد**: الوحدة الروحية فريدة، لا نظير لها في عالمنا، مثل دهن المسحة. وقد أمر الرب موسى: «على مقاديره لا تصنعوا مثله. مقدَّسٌ هو، ويكون مقدساً عندكم» (خر 30: 32)، فهو دهن فريد. وهكذا الكنيسة التي اختارها المسيح لنفسه، يُقال لشعبها: «أما أنتم فجنس مختار، وكهنوت ملوكي، أمة مقدسة، شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب. الذين قبلاً لم تكونوا شعباً، وأما الآن فأنتم شعب الله» (1بط 2: 9، 10).

(هـ) **دهن يعطِّر**: هذا «الدهن» ذو رائحة عطرة. والمؤمنون الحقيقيون هم رائحة المسيح الذكية، الذين يملأون المكان الذي يوجدون فيه بأذكى الأريج.. «شكراً لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين، ويُظهر بنا رائحة معرفته في كل مكان. لأننا رائحة المسيح الذكية لله، في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون» (2كو 2: 14، 15).

2 – مثل الندى: «مثل ندى حرمون النازل على جبل صهيون» (آية 3أ). حرمون أعلى الجبال ومنه ينزل الندى إلى جبل صهيون (الذي بُني عليه الهيكل) الأقل منه ارتفاعاً. وينزل الندى والمطر دائماً من الأعلى للأسفل، فتتغطى الجبال وترتوي الوديان وتعطي ثمراً يفرح به قلب الزارع والحاصد معاً. وينتظر شعب الرب هذه البركة النازلة من فوق لتغمره وترويه فيثمر.

وكما يعطي الرب الندى، فتنمو المزروعات وتثمر، وتكثر المراعي ويزداد الخير، هكذا يشبع الرب قلوبنا بشخصه، ويروي ظمأ أرواحنا، ويقول لنا: «لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء.. يرويان الأرض ويجعلانها.. تنبت وتعطي زرعاً للزارع وخبزاً للآكل، هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي. لا ترجع إليَّ فارغة بل تعمل ما سُررت به وتنجح في ما أرسلتُها له. لأنكم بفرحٍ تَخرجون وبسلام تُحضَرون. الجبال والآكام تشيد أمامكم ترنماً، وكل شجر الحقل تصفق بالأيادي» (إش 55: 10-12).

ثالثاً – بركات الوحدة الروحية
(آية 3ب)

«هناك أمر الرب بالبركة: حياة إلى الأبد». يتبارك المعيِّدون بركة أبدية، ويتبارك أولادهم من جيل إلى جيل. لقد بارك الرب إبراهيم، وابنه إسحاق، وحفيده يعقوب، وهو يبارك كل من يؤمن مثل إيمانهم ويطيع مثل طاعتهم، فتمتد البركة امتداداً لأجيال قادمة بغير توقُّف. قال الرسول بولس لتلميذه تيموثاوس: «أتذكر الإيمان العديم الرياء الذي فيك، الذي سكن أولاً في جدتك لوئيس وأمك أفنيكي، ولكني موقن أنه فيك أيضاً» (2تي 1: 5). ويلتمس المؤمنون بركة علوية لأبنائهم وأحفادهم ليعبدوا الرب ويسيروا في خوفه وحبه، وسط جيل معوج وملتوٍ، فيكونون ملحاً للأرض ونوراً للعالم.

ما أروع الوحدة والتقارب، وما أحوجنا إليها. وما أجمل أن نشعر باتحادنا بالمسيح الكرمة، فنكون أغصاناً ثابتة فيه نأتي بثمر كثير، ونتمتع بتحقيق وعده: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت 28: 20).

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالرَّابِعُ وَالثَّلاَثُونَ

تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ

1 هُوَذَا بَارِكُوا الرَّبَّ يَا جَمِيعَ عَبِيدِ الرَّبِّ، الْوَاقِفِينَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ بِاللَّيَالِي. 2ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ نَحْوَ الْقُدْسِ وَبَارِكُوا الرَّبَّ. 3يُبَارِكُكَ الرَّبُّ مِنْ صِهْيَوْنَ، الصَّانِعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ.

بين المعيِّدين والحرّاس

هذا المزمور هو آخر ترانيم المصاعد الخمسة عشر (120–134)، كان المعيدون يرتلونه في الليلة الأخيرة قبل رحلة العودة، بعد تقديم الذبيحة المسائية، وإغلاق أبواب الهيكل، وبدء نوبة الحراسة الليلية من مغيب الشمس حتى شروقها، والتي كان يتولاها أربعة وعشرون من اللاويين وثلاثة من الكهنة بالإضافة إلى رئيس الحرس. ولم يشأ المعيدون أن يتركوا الهيكل بكل ما فيه من قداسة وفرح بدون مزمور وداع، فرنموا مزمور 134 الذي يبدأ بهتاف الشعب ينادون الحرس: «باركوا الرب يا جميع عبيد الرب.. ارفعوا أيديكم نحو القدس» ويرد الحرس الساهر على المعيِّدين: «يباركك الرب». ويظل الحرس طيلة الليل يذكرون ترنيمة الزائرين الذين طالبوهم بتسبيح الرب وشكره، أثناء محافظتهم على بقاء نار المذبح مشتعلة طول الليل، وهم يغذّون مصابيح الهيكل المضاءة بزيت الزيتون النقي، ويسهرون على سلامة المبنى. وقد يتعرضون للنوم وهم يؤدون خدمتهم بطريقة عادية تلقائية بدون انبهار، لأن عملهم المقدس يصبح روتيناً، يؤدونه يومياً بطريقة أوتوماتيكية بغير تفكير. ولكن العابدين المسافرين نادوهم ليسهروا ويصلّوا، وأبلغوهم آمالهم في قضاء ليلة حيَّة مليئة بالعبادة والشكر لله على الشرف الذي منحه الله لهم في تكليفهم بخدمته دائماً في هيكله المقدس.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – الشعب ينادي حراس الهيكل (آيتا 1، 2)

ثانياً – الحراس يباركون الشعب (آية 3)

أولاً – الشعب ينادي حرّاس الهيكل
(آيتا 1، 2)

«هوذا باركوا الرب يا جميع عبيد الرب، الواقفين في بيت الرب بالليالي. ارفعوا أيديكم نحو القدس وباركوا الرب». يدعو الشعب الراجع إلى بلاده حراس الهيكل أن يسهروا ويصلّوا ويشكروا الرب. لقد بارك الكهنة الشعب عندما علَّموهم أثناء العيد عن الرب.. وجاء الوقت ليبارك الكهنة الرب وهم يشعرون بالامتنان له على اختيارهم لخدمته، فيقدمون العبادة الحقيقية له لخيرهم ولخير الشعب الذي يخدمونه، فيقول الجميع: «أما أنا فالاقتراب إلى الله حسنٌ لي» (مز 73: 28).

يبدأ مزمورنا كما بدأ مزمور 133 بكلمة «**هوذا**» ومعناها: انظروا. انتبهوا. استيقظوا. يقول الشعب للكهنة: جئنا، وها نحن عائدون، أما أنتم فمقيمون، فبكل النشاط والغيرة قوموا بخدمتكم الهامة والمقدسة التي اختاركم الرب للقيام بها، لتكونوا جديرين بشرفها «إذا كنتم.. تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله» (1كو 10: 31).

«**باركوا الرب**» بمعنى: فكروا فيه، واجعلوه موضوع انشغالكم. قولوا عنه قولاً حسناً. احترموه بتوقير، واقتربوا منه بحب، واعترفوا بفضله عليكم، واشكروه لأنه سمح لكم أن تخدموه. سبحوه واحمدوه، وقولوا لأنفسكم قول داود لنفسه: «باركي يا نفسي الرب وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس. باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته» (مز 103: 1، 2).

باركوه بأن تحبوه، وتستمروا في حبه. أحبّوه لذاته، وعبِّروا عن محبتكم له، وقولوا للجميع: «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً» (1يو 4: 19).

باركوه بالطاعة والخضوع لمشيئته وبالقيام بما يكلفكم به بسعادة.

باركوه بالصلاة والتواصل معه في حديث وشركة حبية مستمرة نهاراً وليلاً، فتكون صلاتكم حديث العقل الواعي وحديث العقل الباطن. حدّثوه مباشرةً بالصلاة، وحدّثوه بالتسبيح والترنم لعزته الإلهية. «سبِّحوا الرب لأن الترنُّم لإلهنا صالح. لأنه مُلذٌّ. التسبيح لائق» (مز 147: 1).

ويذكر الشعب ثلاثة أسباب تدفع الكهنة حراس الهيكل لأن يباركوا الرب:

1 – هم عبيد الرب: خصَّص الرب سبط لاوي لخدمته، ودعاهم للعمل في الهيكل، ويقول الوحي: «أفرَزَ الرب سبط لاوي ليحملوا تابوت عهد الرب، ولكي يقفوا أمام الرب ليخدموه ويباركوا باسمه إلى هذا اليوم. لأجل ذلك لم يكن للاوي قسمٌ ولا نصيبٌ مع إخوته. الرب هو نصيبه كما كلَّمه الرب إلهك» (تث 10: 8، 9).

والمؤمنون جميعاً عبيد الرب لأنه خلقهم، ولأنه يعولهم، ولأنه اشتراهم بالفداء. وهم يتشرَّفون بالعبودية له، لأن العبودية للرب هي الحرية الكاملة، ولأنها الانتماء لسيد الأرض كلها، وقد قال أحد القديسين: «أنا محتاجٌ إلى ربوبيتك، ولكنك لست محتاجاً لعبوديتي». ولقب العبد والأَمَة لقب محبَّب لنفوس المؤمنين، أُطلق على موسى مرات كثيرة (تث 34: 5 و1أخ 6: 49)، وعلى يشوع (يش 29: 24 وقض 8:2)، وعلى إيليا (1مل 18: 36)، وعلى دانيال (دا 6: 20)، وعلى بولس (رو 1: 1)، وعلى بطرس (2بط 1: 1)، وعلى يعقوب (يع 1: 1)، وعلى كل من حرَّرهم المسيح (1بط 2: 16). وأطلقه داود على أمه، فقال: «لأني عبدك. أنا عبدك ابن أمتك» (مز 116: 16)، وأطلقته العذراء مريم على نفسها حين قالت للملاك: «هوذا أنا أَمَة الرب» (لو 1: 38).

وتفرِّق التوراة بين العبد المولود في البيت والعبد المشترَى بالمال، فالعبد المولود في البيت أغلى لأنه ينتمي إلى ذلك البيت (تك 14: 14). وما أجمل بيت تيموثاوس الذي قال له الرسول بولس: «أتذكر الإيمان العديم الرياء الذي فيك، الذي سكن أولاً في جدتك لوئيس وأمك أفنيكي، ولكني موقن أنه فيك أيضاً» (2تي 1: 5).

والمؤمن الحقيقي هو الذي يقول للرب: «أُحبُّ سيدي.. لا أخرج حراً» (خر 21: 5)، وهو الذي يتكلم كلاماً صالحاً عن سيده، وشعاره: «لأن يوماً واحداً في ديارك خيرٌ من ألف. اخترتُ الوقوف على العتبة في بيت إلهي (كأنه بواب البيت) على السكن في خيام الأشرار» (مز 84: 10).

2 – هم ساهرون في بيت الرب: «واقفون بالليالي» فقد كان عمل بعض الكهنة نهاراً وليلاً. «وكان المغنّون رؤوس آباء اللاويين في المخادع، وهم مُعفَوْن، لأنهم نهاراً وليلاً عليهم العمل» (1أخ 9: 33) وقد عيَّنهم الملك داود «لأجل الوقوف كل صباح لحمد الرب وتسبيحه، وكذلك في المساء» (1أخ 23: 30).

وقد يكون المقصود بالوقوف بالليالي المعنى الحرفي، أو قد يكون المقصود معنوياً من ليالي الظروف القاسية والأيام الصعبة. فعندما يضل الناس عقائدياً أو سلوكياً يسهر خدام الرب في صلوات وتضرعات لحراسة العقيدة وإعلان الحق، مفصِّلين كلمة الحق بالاستقامة (2تي 2: 15)، يكرزون بالكلمة ويعكفون على ذلك في وقت مناسب وغير مناسب، يوبخون وينتهرون ويعظون بكل أناة وتعليم (2تي 4: 2)، فقد وصفهم الرب بأنهم حُرّاس «لا يسكتون كل النهار وكل الليل على الدوام. يا ذاكري الرب لا تسكتوا ولا تدعوه يسكت» (إش 62: 6).

3 – هم يصلّون للرب: يرفعون أيديهم نحو القدس للصلاة، كما قال داود: «استمع صوت تضرُّعي إذ أستغيث بك وأرفع يديَّ إلى محراب قدسك» (مز 28: 2)، وطلب الرسول بولس أن يصلي الرجال رافعين أيادي طاهرة من أجل المسؤولين وأصحاب المناصب في بلادهم (1تي 2: 8).

ورفع اليدين للصلاة يعني اتجاه القلب بكامله إلى الرب، لأن اليدين مشغولتان بالعبادة دون غيرها.. ويعني أيضاً الانتباه لصوت الرب والاستجابة لتوجيهاته، فنقول: «تكلم يا رب لأن عبدك سامع» (1صم 3: 9).. ويعني تطلع الأعين الضارعة المترجية إلى مصدر البركة، فنقول: «أرفع عينيَّ إلى الجبال من حيث يأتي عوني. معونتي من عند الرب صانع السماوات والأرض» (مز 121: 1، 2).. ويعني رفع كل ما في المصلي وتكريسه لله تقدمةً للرب، عملاً بالوصية الرسولية: «قدِّموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله، عبادتكم العقلية» (رو 12: 1).. ويعني طلب العون الإلهي ومدّهما نحو الله لتلقِّي الاستجابة، كما فعل موسى عندما هاجم العمالقةُ بني إسرائيل في صحراء سيناء، فرفع يده للصلاة طالباً الحماية. وكان إذا رفع يده ينتصر بنو إسرائيل، وإذا خفضها ينتصر العمالقة. «فلما صارت يدا موسى ثقيلتين.. دعم هارون وحور يديه، الواحد من هنا والآخر من هناك. فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس». وهكذا انتصروا (خر 17: 8–13).

ويشير الطراز القوطي في بناء الكنائس المرتفعة الأسقف، العالية الأبراج إلى هذا المعنى، حتى يرفع العابدون عيونهم وأفكارهم وقلوبهم نحو الرب بكل ثقة وحماس وتوقُّع قائلين: «هوذا كما أن عيون العبيد نحو أيدي سادتهم، كما أن عيني الجارية نحو يد سيدتها، هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا حتى يترأف علينا» (مز 123: 2).

ثانياً – الحراس يباركون الشعب
(آية 3)

يتجاوب الحراس الساهرون مع جمهور المعيدين الراجعين إلى بلادهم، ويبادلونهم التمنيات ببركة الرب، ويقولون: «يباركك الرب من صهيون الصانع السموات والأرض».

1 – البركة من الرب: يبارك المؤمنُ الربَّ بأن يشكره، ويقدم له في كل حين «ذبيحة التسبيح، أي ثمر شفاه معترفة باسمه» (عب 13: 15). والرب يبارك المؤمن بالغفران، فيقول المؤمن: «باركي يا نفسي الرب.. الذي يغفر جميع ذنوبك. الذي يشفي كل أمراضك. الذي يفدي من الحفرة حياتك. الذي يكللك بالرحمة والرأفة. الذي يشبع بالخير عمرك، فيتجدد مثل النسر شبابك» (مز 103: 1–5).. ويباركه بالتغيير الداخلي وينقله «من مجد إلى مجد» (2كو 3: 18)، ويصوغه «إناءً للكرامة، مقدساً، نافعاً للسيد، مستعداً لكل عمل صالح» (2تي 2: 21)، ويجعله سبب بركة للمحيطين به في المجتمع والأسرة والكنيسة.. ويباركه بأن يسدد كل احتياجاته الروحية والمادية والفكرية والعاطفية أكثر جداً مما يطلب أو يفتكر (أف 3: 20)، ويشجعه قائلاً: «إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي. اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً» (يو 16: 24). وهذه البركات «نازلة من عند أبي الأنوار، الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران» (يع 1: 17).

2 – البركة من صهيون: وصهيون الروحية هي الكنيسة، التي فيها يبارك الكهنة الشعب قائلين: «يباركك الرب ويحرسك. يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك. يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً» (عد 6: 24–26). وجاءت هذه البركة في صيغة المفرد، لأن شعب الرب يجتمع كرجل واحد «ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر. ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح» (غل 3: 28)، كما تعني أن البركة هي لكل واحد من الشعب، لأن الرب يعرفه باسمه، ويقول له: «قبلما صوَّرتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجت من الرحم قدستك» (إر 1: 5).

وكانت صهيون في التوراة تعني:

(أ) **حصن داود**: المكان الذي بُني فيه الهيكل، حيث يسكن الله وسط شعبه. وتأتينا البركة عندما ندخل بيت الله نستمع إلى كلمته، وتُستجاب فينا صلاة المسيح: «أيها الآب القدوس، احفظهم في اسمك الذين أعطيتني، ليكونوا واحداً كما نحن.. لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير» (يو 17: 11، 15).

(ب) **مدينة العهد**: لأن فيها تابوت العهد، وقد أدخل الله كل مؤمن في عهد جديد معه مختوم بدم المسيح. وفي كل مرة يتناول فيها من مائدة العشاء الرباني يسمع المسيح يقول له: «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفَك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» (مت 26: 28).

3 – البركة من الخالق: «يباركك الرب.. الصانع السماوات والأرض» فهو صاحب السلطان فيهما، وهو يمنح بركته لأنه محب وصالح وقادر وسلطانه كامل. وما أعظم السلطان السماوي الذي يغفر الخطايا، ويستجيب الصلاة، ويشفع في المؤمنين، ويرسل ملائكته ليخدموهم، وهو يقول لهم: «أفتح لكم كُوى السماوات وأفيض عليكم بركة حتى لا توسع» (ملا 3: 10). وسلطانه على الأرض يمتد إلى كل شيء. «قلب الملك في يد الرب كجداول مياه. حيثما شاء يميله» (أم 21: 1). شقَّ البحر الأحمر ليعبر شعبه، وقال لهم عن سنوات التيه: «سرتُ بكم أربعين سنة في البرية، لم تبلَ ثيابكم عليكم، ونعلك لم تبلَ على رجلك.. لكي تعلموا أني أنا الرب إلهكم» (تث 29: 5، 6).

دعونا نرفع صلواتنا من أجل الذين يخدموننا روحياً، ونطلب من الله أن يعطيهم آذاناً صاغية لما يطلبه الشعب الذي يخدمونه منهم. أما رجال الدين فليطلبوا بركة الله صاحب السلطان للشعب الذي يخدمونه ويعظونه بكلمة وحيه الصادق.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالْخَامِسُ وَالثَّلاَثُونَ

1 هَلِّلُويَا! سَبِّحُوا اسْمَ الرَّبِّ. سَبِّحُوا يَا عَبِيدَ الرَّبِّ، 2الْوَاقِفِينَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ، فِي دِيَارِ بَيْتِ إِلَهِنَا. 3سَبِّحُوا الرَّبَّ لأَنَّ الرَّبَّ صَالِحٌ. رَنِّمُوا لاِسْمِهِ لأَنَّ ذَاكَ حُلْوٌ. 4لأَنَّ الرَّبَّ قَدِ اخْتَارَ يَعْقُوبَ لِذَاتِهِ، وَإِسْرَائِيلَ لِخَاصَّتِهِ. 5لأَنِّي أَنَا قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ الرَّبَّ عَظِيمٌ، وَرَبَّنَا فَوْقَ جَمِيعِ الآلِهَةِ. 6كُلَّ مَا شَاءَ الرَّبُّ صَنَعَ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ، فِي الْبِحَارِ وَفِي كُلِّ اللُّجَجِ. 7الْمُصْعِدُ السَّحَابَ مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ. الصَّانِعُ بُرُوقاً لِلْمَطَرِ. الْمُخْرِجُ الرِّيحَ مِنْ خَزَائِنِهِ. 8الَّذِي ضَرَبَ أَبْكَارَ مِصْرَ مِنَ النَّاسِ إِلَى الْبَهَائِمِ. 9أَرْسَلَ آيَاتٍ وَعَجَائِبَ فِي وَسَطِكِ يَا مِصْرُ، عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَى كُلِّ عَبِيدِهِ. 10الَّذِي ضَرَبَ أُمَماً كَثِيرَةً وَقَتَلَ مُلُوكاً أَعِزَّاءَ: 11سِيحُونَ مَلِكَ الأَمُورِيِّينَ، وَعُوجَ مَلِكَ بَاشَانَ، وَكُلَّ مَمَالِكِ كَنْعَانَ، 12وَأَعْطَى أَرْضَهُمْ مِيرَاثاً، مِيرَاثاً لإِسْرَائِيلَ شَعْبِهِ.

13يَا رَبُّ، اسْمُكَ إِلَى الدَّهْرِ. يَا رَبُّ، ذِكْرُكَ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ، 14لأَنَّ الرَّبَّ يَدِينُ شَعْبَهُ، وَعَلَى عَبِيدِهِ يُشْفِقُ. 15أَصْنَامُ الأُمَمِ فِضَّةٌ وَذَهَبٌ، عَمَلُ أَيْدِي النَّاسِ. 16لَهَا أَفْوَاهٌ وَلاَ تَتَكَلَّمُ. لَهَا أَعْيُنٌ وَلاَ تُبْصِرُ. 17لَهَا آذَانٌ وَلاَ تَسْمَعُ. كَذَلِكَ لَيْسَ فِي أَفْوَاهِهَا نَفَسٌ! 18مِثْلَهَا يَكُونُ صَانِعُوهَا، وَكُلُّ مَنْ يَتَّكِلُ عَلَيْهَا. 19يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ، بَارِكُوا الرَّبَّ. يَا بَيْتَ هَارُونَ، بَارِكُوا الرَّبَّ. 20يَا بَيْتَ لاَوِي، بَارِكُوا الرَّبَّ. يَا خَائِفِي الرَّبِّ، بَارِكُوا الرَّبَّ. 21مُبَارَكٌ الرَّبُّ مِنْ صِهْيَوْنَ السَّاكِنُ فِي أُورُشَلِيمَ. هَلِّلُويَا!

يا خائفي الرب، باركوا الرب

هذا المزمور دعوة لتسبيح الرب الذي أعاد شعبه من السبي، فبدأوا يعيدون بناء الهيكل الذي دمره نبوخذنصَّر، إلا أنهم تخاذلوا، فأرسل لهم الرب النبيين حجي وزكريا ليشجعاهم ليكملوا البناء، ففعلوا. وكان الهيكل الثاني متواضعاً جداً بالمقارنة بالهيكل العظيم الذي بناه سليمان، لأن الذين أقاموه كانوا جماعة فقيرة وقليلة. وعندما رأى كبار السن منهم ضآلة هيكلهم الجديد بالمقارنة بالهيكل الأول حزنوا جداً، فشجعهم الرب بقوله إن مجد البيت الأخير سيكون أعظم من مجد البيت الأول، إن كانت عبادتهم فيه بالروح والحق (حجي 2: 9). وبمناسبة إعادة البناء رنم الشعب هذا المزمور. وما أجمل أن نرفع لله تراتيل الشكر، تنشدها قلوبنا وتترنم بها ألسنتنا، فنقول لله: «أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة، لأنك أنت خلقت كل الأشياء، وهي بإرادتك كائنة وخُلقت» (رؤ 4: 11).

يبدأ مزمورنا من حيث انتهى مزمور 134 آخر مزامير المصاعد، والذي دعا فيه الشعبُ اللاويين ليصلّوا ويباركوا الشعب. ويدعو مزمورنا كل خائفي الرب وبيت هارون وبيت لاوي ليباركوا الرب.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – المسبِّحون (آيات 1–4)

ثانياً – تسبيح رب الطبيعة (آيات 5–7)

ثالثاً – تسبيح رب التاريخ (آيات 8–12)

رابعاً – تسبيح رب الأرباب (آيات 13–18)

خامساً – دعوة للتسبيح (آيات 19–21)

أولاً – المسبِّحون
(آيات 1-4)

1 – يسبِّحون لأن التسبيح ضروري: «هللويا، سبحوا اسم الرب» (آية 1أ). «هللويا» كلمة عبرية تعني سبحوا الرب، أو سبحان الله. وكل خلائق الرب تسبح خالقها العظيم الذي منه وبه وله كل الأشياء (رو 11: 36)، والذي يفتح يده فتشبع مخلوقاته خيراً (مز 104: 28)، والذي إلى اسمه وإلى ذكره شهوة النفس (إش 26: 8). الملائكة تشدو له: «قدوس قدوس قدوس رب الجنود، مجده ملء كل الأرض» (إش 6: 3). وكأن المرنم يحثُّ كل الأتقياء ليقولوا: «فاض قلبي بكلام صالح. متكلم أنا بإنشائي للملك. لساني قلم كاتب ماهر»

(مز 45: 1)، فترتفع أصوات التسبيح لمن وحده يستحق أن نقدم له ذبيحة الحمد، أي ثمر شفاه معترفة باسمه (عب 13: 15)، ويسبح الجميع اسمه الذي يعلن عن شخصه وكمال أعماله وعظمة صفاته. وهناك أربع صفات عظيمة لله، أولها: «الله محبة»، وثانيتها: القداسة، وثالثتها: الحكمة، ورابعتها: القوة.. الله حب مقدس، وهناك حب بشري لا يؤدي إلى قداسة. والله حب حكيم يختار لنا الأفضل، وهناك حب بشري بغير حكمة. والله حب قادر أن ينفذ أعمال محبته، وكل حب عداه ضعيف مؤقت. فلنسبح اسم الرب المحب القدوس الحكيم القادر.

2 – يسبحون لأنهم عبيده: «سبحوا يا عبيد الرب، الواقفين في بيت الرب، في ديار إلهنا» (آيتا 1ب، 2). الأتقياء عبيد الرب وعابدوه، لأنه خلقهم واشتراهم. صنعهم على صورته كشبهه، ولما ضلوا افتداهم وأعاد خلقهم، كما نرى في مثل الفخاري الذي كان يعمل وعاءً ففسد، فعاد يعمله وعاءً آخر كما حسن في عينيه (إر 18: 4). وقد اشترى الله الأتقياء لا بفضة ولا بذهب «بل بدم كريم، كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح» (1بط 1: 19). فالأتقياء عبيده وملكه بحق الخلق وبحق الشراء. وما أمجد امتياز عبيد الرب. إن لهم حق الاقتراب منه، وتقديم الخدمة له. وهو يكلف عبيده بخدمته، فيقولون: «أما أنا فالاقتراب إلى الله حسن لي. جعلت بالسيد الرب ملجإي لأخبر بكل صنائعك» (مز 73: 28). و«طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين. الحق أقول لكم إنه يتمنطق ويتكئهم ويتقدم ويخدمهم» (لو 12: 37).

3 – يسبحون لأنه صالح: «سبحوا الرب لأن الرب صالح» (آية 3أ). «كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق، نازلة من عند أبي الأنوار الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران» (يع 1: 17). وكل من يحب الإله الصالح يحب وصاياه فيخبئها في قلبه لكي لا يخطئ إليه (مز 119: 11). و«الصالح ينال رضىً مِن قِبَل الرب» (أم 12: 2).

4 – يسبحون لأن التسبيح لذيذ: «رنموا لاسمه لأن ذاك حلو» (آية 3ب). قد تعود كلمة «حلو» على اسم الرب، وقد تعود على الترنيم «لأن الترنم لإلهنا صالح. لأنه مُلذ. التسبيح لائق» (مز 147: 1). الرب حلو، ويشهد تاريخنا كما يشهد حاضرنا بأنه حلو ويستحق التسبيح. نسبحه لأنه إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب حافظ العهد والأمانة، ونسبحه لأنه اعتنى بنا وأعاننا كل أيام حياتنا فلم يعوزنا شيء من الخير. نسبحه لأنه طيب «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب. طوبى للرجل المتوكل عليه» (مز 34: 8). وعندما نرنم لاسمه تنفتح عيوننا أكثر على حلاوته وعلى حلاوة الترنيم له، فيشرق وجهه البهي علينا ويبتسم لنا ابتسامة الرضى، فنطرح عنا كل ثقل، وكل جبل ينخفض، وتصير المعوجات مستقيمة والشعاب طرقاً سهلة، ونبصر خلاص الله (لو 3: 5، 6). «مفديو الرب يرجعون ويأتون.. بترنم، وفرح أبدي على رؤوسهم. ابتهاج وفرح يدركانهم ويهرب الحزن والتنهد» (إش 35: 10). «اهتفوا أيها الصديقون بالرب. بالمستقيمين يليق التسبيح» (مز 33: 1). «حسن هو الحمد للرب والترنُّم لاسمك أيها العلي» (مز 92: 1).

5 – يسبحون لأنه اختارهم: «لأن الرب قد اختار يعقوب لذاته وإسرائيل لخاصته» (آية 4). هذه علاقة خاصة تعتمد على نعمة الرب وحدها، كما قال المسيح: «ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم» (يو 15: 16). ويمنح اختيار النعمة تميُّزاً وتفرُّداً، ليس لصلاح فينا، لكن بسبب المحبة الإلهية التي لا نستحقها، فقد أمر الله موسى أن يقول لبني إسرائيل: «إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب، فإن لي كل الأرض. وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة» (خر 19: 3–6). فقد اختارهم لمسؤولية محددة هي أن ينشروا كلمته، ويكونوا وكلاء الأسرار الإلهية وحافظي العبادة الصحيحة وسط الأمم.. واختارهم «خاصة» وقال لهم: «لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك. إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم، لأنكم أقل من سائر الشعوب. بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسَم الذي أقسم لآبائكم» (تث 7: 6–8). اختار الرب يعقوب المتعقِّب وغيَّر حياته فصار إسرائيل المجاهد مع الله وجاء المسيح من نسله. واختار الرب كل من يؤمن بالمسيح من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة، ليجعلهم ملوكاً وكهنة (رؤ 5: 10، 11)، «ليُظهِر في الدهور الآتية غِنى نعمته الفائق باللطف علينا في المسيح يسوع. لأنكم بالنعمة مُخلَّصون بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله» (أف 2: 7، 8). لم يأتِ المؤمنون إلى الرب لكنه هو الذي تنازل وجاء إليهم ودعاهم. فالفضل كله يرجع إلى اختيار النعمة الغنية. وقد اختار المؤمنين ليباركهم، فلتمتلئ الأفواه بتسبيحه، ولنكن بركة للمحيطين بنا.

ثانياً – تسبيح رب الطبيعة
(آية 5-7)

1 – الخالق الأعظم: «لأني أنا قد عرفت أن الرب عظيم، وربَّنا فوق جميع الآلهة» (آية 5). «عرفت» بمعنى أن المرنم اختبر وعايش، فلم تتوقف معرفته عند سماع الأذن بل بلغت رؤية العين ويقين القلب. وجاءته المعرفة من الإعلان الإلهي، ومن اختباره الشخصي في حياته اليومية، كما قال الرسول يوحنا: «الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا» (1يو 1: 1). عرف أن الرب عظيم في أعماله وهو فوق كل أصنام الوثنيين، وفوق آلهة المصريين، وفوق داجون الفلسطينيين (1صم 5: 3). له صلى إيليا: «استجبني يا رب استجبني، ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله.. سقطت نار الرب.. فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا: الرب هو الله. الرب هو الله» (1مل 18: 36–40). هو يسود فوق كل معبودات البشر في الماضي والحاضر والمستقبل.

2 – الخالق القادر: «كل ما شاء الرب صنع، في السموات وفي الأرض، في البحار وفي كل اللجج. المصعد السحاب من أقاصي الأرض، الصانع بروقاً للمطر، المخرج الريح من خزائنه» (آيتا 6، 7). نسبح الله القادر الذي ليس مَن يعطل مقاصده، ولا مَن يحد مِن سلطانه، لأنه يصنع كل ما شاء. نشر السموات بلا أعمدة، وجعل فيها الشمس والقمر والنجوم لتنير الأرض، ولتحكم نظام الفصول من صيف وشتاء. وأوجد الأرض وجعلها تنبت عشباً وبقلاً وشجراً ذا ثمر، وأفاض المياه بالأسماك، وخلق طيراً يطير في الفضاء (تك 1), وهو الذي يُصعد السحاب من مياه البحار، ويعيده مطراً على الأرض تصاحبه أصوات الرعد وأنوار البرق. وكأنه يخزن الريح في مخازن لا نراها، ويخرجها متى شاء. «الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها، لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب» (يو 3: 8). هذا هو الإله العظيم «صانع الأرض بقوته، مؤسس المسكونة بحكمته، وبفهمه بسط السموات. إذا أعطى قولاً تكون كثرة مياه في السموات، ويصعد السحاب من أقاصي الأرض. صنع بروقاً للمطر وأخرج الريح من خزائنه» (إر 10: 12، 13). «السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه. يوم إلى يوم يذيع كلاماً، وليل إلى ليل يبدي علماً.. في كل الأرض خرج منطقهم وإلى أقصى المسكونة كلماتهم» (مز 19: 1–6). وقد دُفع إلى المسيح كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فهدأ العاصفة وأطاعه البحر والرياح (مت 8: 23–27)، والتقى بتلاميذه ماشياً على الماء (مت 14: 22–33).

ثالثاً – تسبيح رب التاريخ
(آيات 8-12)

1 – تاريخه مع مصر: «الذي ضرب أبكار مصر من الناس إلى البهائم. أرسل آيات وعجائب في وسطك يا مصر، على فرعون وعلى كل عبيده» (آيتا 8، 9). يشهد تاريخ الخروج لسلطان الرب وانتصاره لشعبه ضد مصر، أعظم وأقوى مملكة في ذلك الوقت، وأمر الرب موسى أن يقول لفرعون: «هكذا يقول الرب. إسرائيل ابني البكر. فقلت لك أطلق ابني ليعبدني، فأبيتَ أن تطلقه. ها أنا أقتل ابنك البكر» (خر 4: 22، 23). وضرب الرب أرض مصر بعشر ضربات، آخرها موت الأبكار. وكانت الضربات موجَّهة ضد معبودات المصريين، ليعرفوا أن الرب هو الله وحده. كانوا يعبدون النيل ويقدمون له كل سنة عروساً، فضرب الرب ماء النيل وحوَّله دماً. وكانوا يعبدون العجل أبيس، فأهلك جميع المواشي. كانت عجائب الرب مواجهة بين «يهوه» صانع السماء والأرض وبين الوثن. ولم يكن الرب يريد أن يهلك فرعون، بل أن يوقظه ليعرف من هو الرب. ولما رفض، دفع هو وشعبه ثمناً باهظاً «الرب ضرب كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير الذي في السجن، وكل بكر بهيمة.. وكان صراخ عظيم في مصر» (خر 12: 29، 30).

2 – تاريخه مع بلاد كثيرة: «الذي ضرب أمماً كثيرة وقتل ملوكاً أعزاء: سيحون ملك الأموريين، وعوج ملك باشان وكل ممالك كنعان. وأعطى أرضهم ميراثاً، ميراثاً لإسرائيل شعبه» (آيات 10–12). يذكر المرنم أسماء أول ملكين قاوما بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر، كما يذكر أمماً كثيرة نصر الرب شعبه عليها وأعطاهم أرضهم ليمتلكوها (عد 21: 21–26 ويش 12: 7–24). «يطرد من أمامك شعوباً أكبر وأعظم منك، ويأتي بك

ويعطيك أرضهم نصيباً كما في هذا اليوم» (تث 4: 38).وهزم العبيد الضعفاء الملوك الأقوياء، لأن الحرب للرب، كما هو مكتوب: «لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود» (زك 4: 6). ونتعلم من نصر الرب لشعبه رحمة الرب على خائفيه، وعقابه للأشرار، كما نتعلم أنه يدافع عن شعبه. «ينزل رب الجنود للمحاربة عن جبل صهيون وعن أَكمَتِها. كطيور مُرِفَّة هكذا يحامي رب الجنود عن أورشليم. يحامي فينقذ. يعفو فينجّي» (إش 31: 4، 5). كما نتعلم ثبات الرب وعدم تغيره، لأنه هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد (عب 13: 8). وهذا يقوي إيماننا، ويدفعنا لتسبيح الرب وتمجيده فنهتف: «شكراً لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين» (2كو 2: 14).

رابعاً – تسبيح رب الأرباب
(آيات 13-18)

1 – الرب أزلي أبدي: «يا رب اسمك إلى الدهر. يا رب، ذكرك إلى دور فدور» (آية 13). الرب هو الله، وهو السيد وحده الأزلي الأبدي. اسمه إلى الدهر يبقى ولا يزول ولا يتغير، فهو الألف والياء، الأول والآخِر، العلي المرتفع ساكن الأبد، القدوس اسمه (إش 57: 15). ويدوم ذكره من جيل إلى جيل، لأن معجزاته فائقة وعجائبه كثيرة. شخصه لا يُنسى، ووصاياه لا تنسى، وإنجيله يخبر بعطاياه وشفائه وعظمة قوته. يعبده الأتقياء فيتكلم ويتحاور معهم ويقول: «هلم نتحاجج يقول الرب» (إش 1: 18)، ويميل أذنه ويسمع طلباتهم، ويشعر بآلامهم ويسرع إلى معونتهم. «في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلصهم. بمحبته ورأفته هو فكهم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة» (إش 63: 9).

2 – الرب يحب شعبه: «لأن الرب يدين شعبه، وعلى عبيده يشفق» (آية 14). يدين الرب شعبه حين يخطئون فيعاقبهم بنفسه. ولأنه يشفق عليهم، لا يسمح للعدو بإهلاكهم «لأن الذي يحبه الرب يؤدبه، وكأَبٍ بابنٍ يُسر به» (أم 3: 12). لقد كان داود حكيماً عندما أخطأ فعرض الرب عليه ثلاث عقوبات ليختار إحداها: سبع سني جوع، أو الهروب أمام أعدائه ثلاثة أشهر، أم ثلاثة أيام وبإ، فقال داود: «لنسقط في يد الرب لأن مراحمه كثيرة، ولا أسقط في يد إنسان» (2صم 24: 10–14).

3 – الوثن لا حياة فيه: «أصنام الأمم فضة وذهب عمل أيدي الناس. لها أفواه ولا تتكلم. لها أعين ولا تبصر. لها آذان ولا تسمع. كذلك ليس في أفواهها نَفَس» (آيات 15–17). كانت هناك أوثان من خشب ومن حجارة ومن ذهب. واليوم عندنا معبودات من نوع آخر، وكلها لا تدوم. فالبعض يعبدون السلطة لتكون بيدهم مقاليد الأمور، والبعض يعبدون العِلم ويتعبدون رهباناً في محرابه، والبعض يعبدون المال بزعم أنه يفعل الكثير.. وينسون أن السلطة هي تفويض من الله، وأن العلم بدون معرفة الرب يدمر، وأن المال بدون مخافة الله يصبح سيداً قاسياً، والذين يبتغونه يضلون عن الإيمان ويطعنون أنفسهم بأوجاع كثيرة (1تي 6: 10). لقد صنع الوثنيون لأنفسهم أصناماً لا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر، ثم عبدوها. وقد يكونون أذكياء جداً في أمور دنياهم، لكنهم أغبياء جداً في أمور دينهم. ويصوِّر النبي إشعياء غباء الوثني في أنه يقطع شجرة يحرق بعض فروعها ليتدفأ ويقول: «قد تدفأت.. رأيت ناراً» ويأخذ بعض أخشابها ليصنع منها صنماً يخر له ويسجد ويصلي ويقول: «نجِّني لأنك أنت إلهي» (إش 44: 12–17).

4 – صانعو الوثن يكونون مثل أوثانهم: «مثلها يكون صانعوها وكل من يتكل عليها» (آية 18). مثل الشيء كمثل صاحبه، وقد قال المسيح عن أمثال هؤلاء: «مبصرين لا يبصرون، وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون» (مت 13: 13) لا فائدة فيهم ولا رجاء لهم لأنهم وضعوا قلوبهم على ما لا ينفعهم، وتركوا ينبوع الماء الحي ونقروا لأنفسهم آباراً مشققة لا تضبط ماء (إر 2: 13).

خامساً – دعوة للتسبيح
(آيات 19-21)

في الآيات الأخيرة من المزمور يوجِّه المرنم الدعوة لبيت إسرائيل، وبيت هارون، وبيت لاوي، وخائفي الرب أن يباركوا الرب «الساكن في أورشليم».. كان صاحب مزمور 115 قد طلب من إسرائيل وبيت هارون ومتقي الرب أن يتكلوا على الرب (آيات 9–11)،

كما طلب صاحب مزمور 118: 2–4 من إسرائيل وبيت هارون ومتقي الرب أن يهتفوا: «إن إلى الأبد رحمته». ويضيف المـــرنم فـــي مزمورنا «بيت لاوي». فالبركة تجيء من أورشليم حيث مركز عبادة الرب، الذي يرفع له شعبه وخدامه تسابيح الشكر، فيباركهم ويفرح قلوبهم.